

ضحايا الصمت

إدانة لقسوة العروب وانتصار لارادة الانسان

بغداد - علي حمود الحسن

بعد العراق البسند الاكثر انتاجاً للأفلام الوثائقية في المنطقة، وهذا ليس مستغرباً فمن المعلوم ان العراقيين عرفوا السينما منذ بداياتها الاولى - عرض اول فيلم سينمائي العام 1895 من قبل الاخوة لومير في فرنسا - ففي يوم الثلاثاء الموافق 1911/5/11 شاهد البغداديون اول عرض سينمائي صامت، لكن مسيرة السينما تلكأت لاسباب لامجال لذكرها، العارف بتاريخ العراق السياسي واضطرابه يجد انعدام التراكم تقني او معرفي في الفن السينمائي والى حد ما في الفنون الاخرى فالسينما كما هو معلوم نتاج جماعي وليس فردياً، ما جعل المولعون بهذا الفن الجميل يلتجؤون للأفلام الوثائقية القصيرة، والتي لا تتطلب انتاجاً واسعاً او وسائل تقنية معقدة، فأتبعوا افلاماً ذات مضامين مختلفة مستمدة من الواقع تعبر عما يجول بخواطرهم من روى وافكار، وهو خيار وحيد على ما يبدو، فانتاج افلام روائية طويلة ليس امراً سهلاً وسط غياب جهات انتاجية واعلاق وتهديم وتأجير معظم دور العرض السينمائية في بغداد والمحافظات وفيلم فائز صبري (ضحايا الصمت) هو من هذا النوع فهو وثائقي قصير بلا ميزانية انتاجية كبيرة، يرصد مكابلات شريحة الصم والبكم من الشباب الذين عصفت بهم الاحداث الاليمية التي مرت بها بلادنا، فالحروب والازمات والارهاب، لاتفرق بين احد فهي تقسم عذاباتها وكوارثها على الجميع عدا صانعيها.

الفيلم عبارة عن ريبورتاج يحكي قصة مجموعة من الصم والبكم تحاصرهم نيران الحرب الطائفية يتسكعون في شوارع بغداد بحثاً عن العمل لايسمعون مايجري على الرغم من تحذيرات المارة لهم، يدخلون مناطق ساخنة يقتل احدهم ويجرح الاثنان الاخرين يدركون مدى الخطر الذي يحيط بهم بغادرون البلد مهاجرين الى سوريا، وهناك يتجمعون في مكان واحد، يعملون ويلتقون في المقاهي يعيشون حياتهم بكرامة، ويحلمون ببلد امن النقاطة رائعة وموضوع مؤثر اقتتنصه المخرج وتعامل معه ببساطة وثقافية، وبلا مبالغة في اختيار الزوايا او المونتاخ، فنحن اراء كاميرا متعاطفة منحازة، تزوي لنا يوميات هؤلاء الشباب الذين يواصلون حياتهم بمثابرة وتفان على الرغم من عوقهم البدني.

مايميز الفيلم العفوية والتلقائية التي حرك بها المخرج شخصه من الصم والبكم ونجاحه في ادارتهم بعيداً عن التكلف ولعل المشهد الذي يتحدث به (الشباب) والذي يروي بالالام حكاية هجرتهم الى سوريا ومكابداتهم في العراق فقد يعبر بفصاحة عن طريق الحركات الاشارية - لغة الصم والبكم - وتعابير وجهه وانفعالاته صادقة ومؤثرة لاسيما استذكاره.

لصديقه القليل غيلة خالد، الفيلم يمر بعجالة مقتضية على يوميات (الصم والبكم) في الغربية، عملهم ومسراتهم الصغيرة، الفهم همومهم، وتطلعاتهم.

التعليق المكتوب والمسموع كان موفقاً لكننا كنا نتمنى ان لا يكون مصنوعاً بل سهلاً ممتنعاً مثلما انسابت لقطات الفيلم، كذلك بدت النهاية مكلفة حيث يجتمع

أشهر الاقبيات في تاريخ السينما المصرية

متابعة ملحق فنون

اللازمة او الاقبية وجمعها اقبيات جمل يرددها ممثل او ممثلة، تتميز بطرافة الايقاع والمعنى، وغالباً ما تكون ذات دلالة راقية واحياناً منحطة سوقية، فتذهب امتالا وحكيماً يرددها الناس وتتوارثها الاجيال ولان السينما المصرية هيمنت على مخيلنا لاكثر من ثلاثة ارباع القرن، فقد التقطت دار الهلال في كتابها الجميل والممتع عن مئوية السينما المصرية، اشهر هذه الجمل او (الاقبيات) التي تعيد نشرها هنا لانها (اصبحت تردد على كل لسان في اي موقف من مواقف الحياة) مثلما جاء في الكتاب، وهذه قائمة باشهر الجمل.

- * (نشنت يافالح) استيفان روستي
- * (باللهول) يوسف وهبي
- * (ماحدث بياكلها بالساهل) نجمة ابراهيم في دور ربا من فيلم ربا وسكينة
- * (هاتلي واحد بس.. واحد بس بيجب مراته): عبدالمنعم ابراهيم (فيلم قصر الشوق)
- * (شرف البنت زي عود الكبريت مايولعش الامرة واحدة) يوسف وهبي
- * (انا ما اغلظش ابدا) زكي رستم في فيلم نهر الحب
- * (احلى من الشرف مايفيش) توفيق الدقن
- * (حاجنته.. حاطين عيشته.. ما بارزة على الطريقة العصرية.. حاتجوزه)
- رجاء عبدة في فيلم ممنوع من الحب
- * ملعونة الست اللي يجبها جوزها وتقرط فيه)
- تحية كاريوكا في فيلم لعبة الست
- * (العتر خطبني يا محمد) فاطمة رشدي في فيلم العزيمة
- * (اللي زيك مايبانتشي ليكره)
- عبدالسلام النابلسي لعجوز متصابية طلبت ان تراه في الصباح
- * (كل الستات كدابين واللي يصدقهم المغفلين) نجيب



- الرحباني
- * (ما تامنش لجنس الرجالة ابدا.. اسألني انا مدوباهم اربعة)
- ماري منيب الحموات الفاتتات
- * (انا كلمتي ماتت لنش الارض ابدا)
- عبدالفتاح القصري في فيلم ابن حميدو
- * (جواز فوادة من عتريس.. باطل.. باطل.. باطل)
- يحيى شاهين في فيلم شيء من الخوف
- * (اذا كانت ورقة الجواز دي مزورة لكن الحيل دة يبقى مزور برضه)
- ام كلثوم في فيلم فاطمة



المخرج فائز صبري

الصم والبكم امام الكاميرا ويهتفون اشارياً رافعين ايديهم الى الاعلى كان امام المخرج خيارات لا اختيار نهاية اكثر انسجاماً مع تسلسل احداث الفيلم، كان يجمد الكادر على احدي الشخصيات او مجموعة منسجمة.. الخ.

اعتقدان الفيلم بقراءة زاوية النظر لهذه الشريحة من العراقيين كان يمكن ان يكون اكثر انفتاحاً على حيوات هؤلاء المعاقين وهمومهم.. فهو ادانة لقساوة الحروب وامتهان الاسنان، لكنه بالمقابل انتصاراً لارادته وحبه للحياة.

